من قضاة الإسلام

كعب بن سور الأزدى

دكتور فؤاد عبد المنعم

تطلّب الخليفة العادل الحازم : عمر بن الخطاب فيمن يقيم أمر الله بالفصل بين الناس ثلاث خصال : لا يصانع ، ولا يضارع (أى يشبه فعله الرياء) ، ولا يتبع المطامع . وقد أستبان بالتجربة لعمر رضى الله عنه توافر هذه المواصفات فى كعب فولاه قضاء البصرة ، وكانت أحكام كعب من دليل صحتها لا يُختلف فيها أو عليها . فكانت الشهادة التقديرية من عمر لكعب قوله : «نعم القاضى أنت» .

معالم حياته :

كعب بن سور بن بكر بن الأزدى ، من قبيلة من أهل اليمن ، لم تشر المصادر والمراجع التى بين أيدينا إلى تاريخ ولادته وإن أجمعت أن وفاته كانت فى موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .

كان كعب مسيحياً فى الجاهلية ، واعتنق الإسلام عن وعى وإدراك — واقتناع . فكان من القلة الخيِّرة المؤمنة من أهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : «ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات . وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين «آل عمران : الآيات (١١٣ — ١١٥) فقد آمن كعب إيماناً صادقاً عميقاً ، وكاملاً وشاملاً وانضم إلى الصف المسلم وقام بحراسة دين الإسلام .

لم تثبت رؤيته للرسول ﷺ ، ولم يرو عنه أى حديث ، وإن عاصر كبار الصحابة . وفقه آيات الأحكام والحديث . ويعد كعب من كبار التابعين .

مكث فى القضاء اثنى عشر عاماً فقد استقضاه عمر قاضياً على البصرة فى سنة ١٦ هـ . ولم يزل كعب قاضياً لعمر حتى استشهد عمر رضى الله عنه فى عام ٢٣ هـ . وفى

MECELLETU'L-EZHER, C. 50 ,
(sayı 2), s.412-417 , 1978 KAHİRE.

كيف ولى عمر كعباً لقضاء البصرة ؟

يحدثنا الشعبى : أن كعب بن سور كان جالساً فجاءت امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين : ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجى إنه ليبيت ليله قائماً ، ويظل نهاره صائماً فى اليوم الحار ما يفطر ، فاستغفر لها وأثنى عليها . وقال : مثلك أثنى الخير . . . وقال : واستحيت المرأة فقامت راجعة . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، هَلاَّ أُعَنْتَ المرأة على زوجها أن جاءتك تستعديك ؟ قال : أو ذاك أرادت ؟ قال : نعم . . . فرُدَّت ، فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه ، إن هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك ، أنه يجتنب فراشك . قالت : أجل إنى امرأة شابة ، وإنى أتتبع ما يتبع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاءه . فقال لكعب : أقض بينهما ، فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه . فقال كعب : أمير المؤمنين أحق أن يقضى بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما قال : فإنى أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هى رابعتهن فأقضى له بثلاثة أيام ولياليهن ، يتعبَّد فيهن ، ولها يوم وليلة (ليس له فيها إلا أداء الفريضة) فقال عمر : والله ما رأيك الأولَ بأعجب من الآخر . إذهب فأنت قاض على أهل البصرة .

وفى رواية أخرى طريفة عن المدائنى تتفق معها فى المعنى وتنفرد بأنها تصور حجج الخصوم وأدلتهم بصياغة شعرية . فالمرأة التى أتت عمر بن الخطاب تثنى على زوجها فقال له كعب بن سور : إنها تشكوه . فقال عمر : اقض بينهما . فتكلمت المرأة فقالت :

يا أيها القاضى الحكيم رشده ... ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهّده فى مضجعى تعبُّده ... نهاره وليله ما يرقده
ولست فى أمر النساء أحمده ... فاقض القضاء يا كعب لا تردده

فقال الزوج :

إنى امرءاً أذهلنى ما قد نزل ... فى سورة النور وفى السبع الطول
زهدنى فى فرشها ما فى الحجل ... وفى كتاب الله تخويف جلل
فحنها فى ذا على حسن العمل